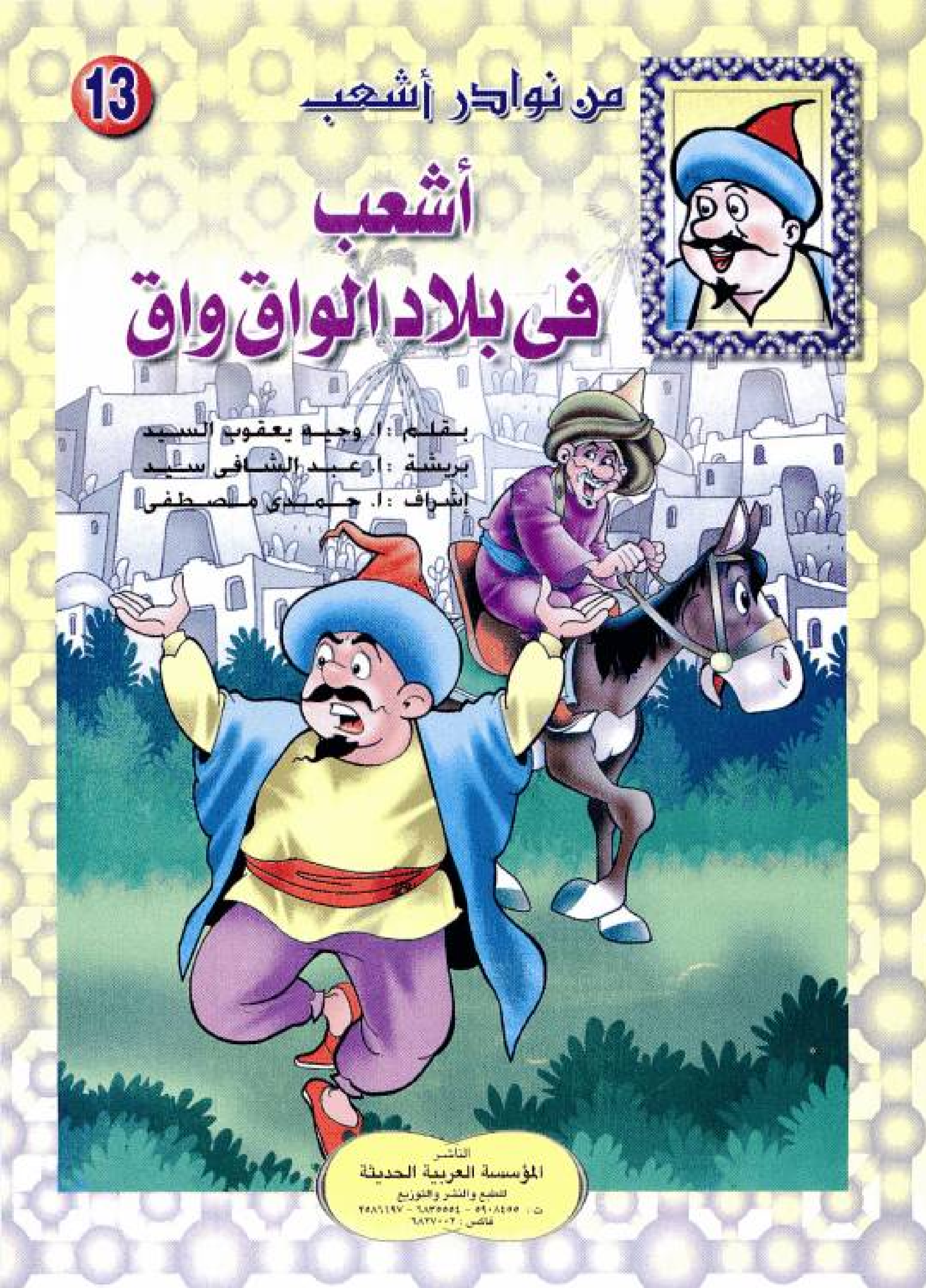

13
من نوادر أشعب
أشعب
فى بلاد الواق واق
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٣٧٠٠٢



أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصِيَةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَمِ
والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعْتَبِرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّيَن
بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ
فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوه أحدٌ أو ينْتظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .
وعلى الرُّغْمِ من كلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً
مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ
والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّةِ روحه
ومواقِفهِ الطَّرِيفَةِ !

أشعب فى بلاد الواق واق !

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى





ضَحِكَتِ الأيَّامُ لأحدِ الْبخلاءِ فأصْبحَ واليًا ، وكان هذا الوالِى مع بُخْلِهِ بغيضًا لا يأْلفُه النَّاسُ ولا يُحبُّونه ولا يطِيقونَ مُعَاشرَتَه . وفى كلِّ ليْلة كان يُرْسل إلى أشْعبَ لكىْ يُؤانسَه ويُضَاحِكَه ، لكنَّ أشعبَ كان يَهْرُبُ منه أو يَخْتفى عِندَ أحدِ الجيران ، لأنه كانَ يبْقَى مع هذا الوالى طُوالَ اللّيْل يحدِّثُه ويُضْحِكُه دونَ أنْ يجدَ فى خِتامِ اللّيْلةِ لُقمةً يُشبِعُ بها بَطْنَه الجائعَ أوْ دِرْهمًا يَشْترى به شيئًا لأبْنائه .

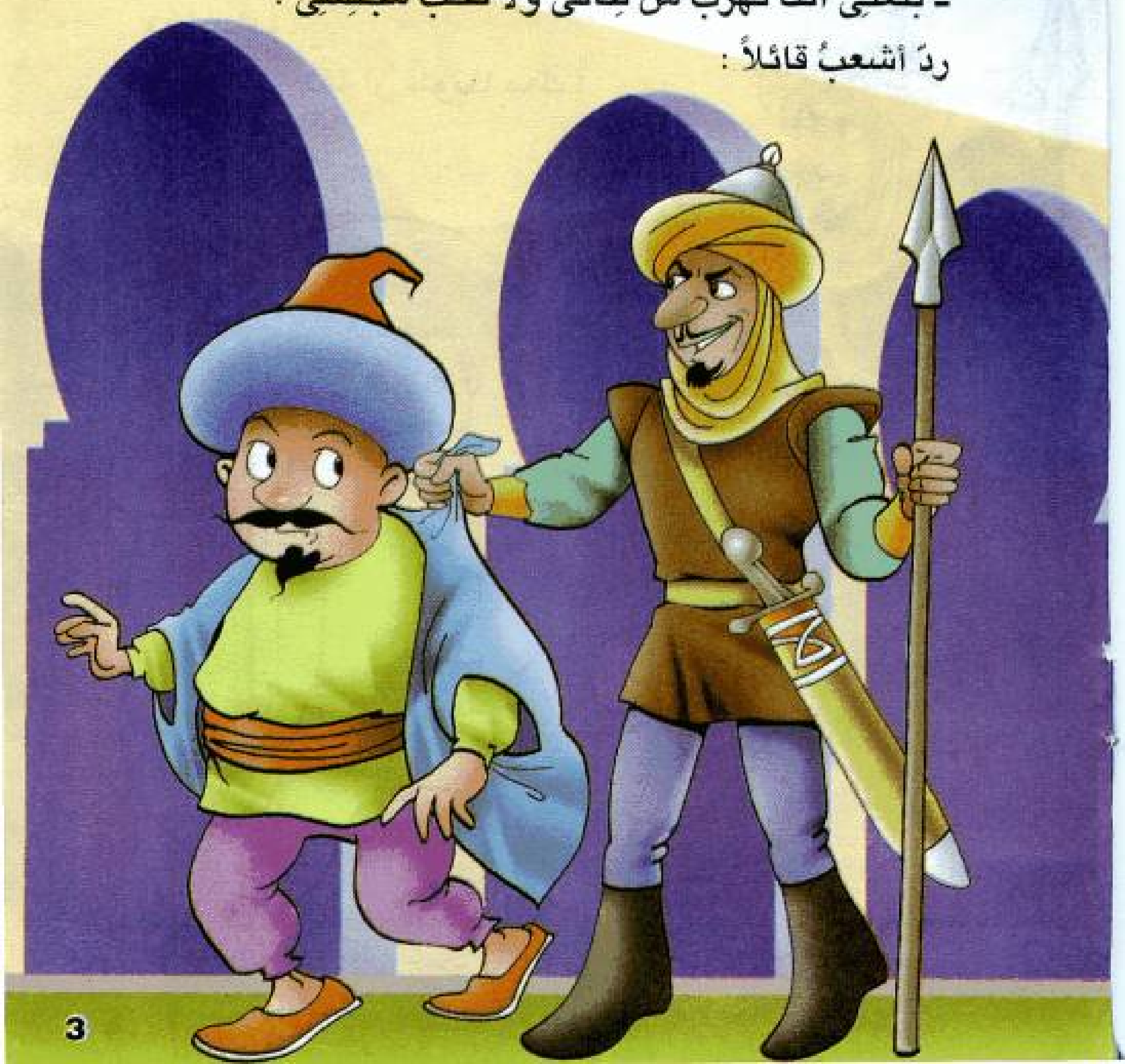
عَلِمَ هذا الْوالى - بمُرور الأيّامِ - أنَّ أشْعبَ يَهْرُبُ مِنْ لِقائه ويخْتلقُ

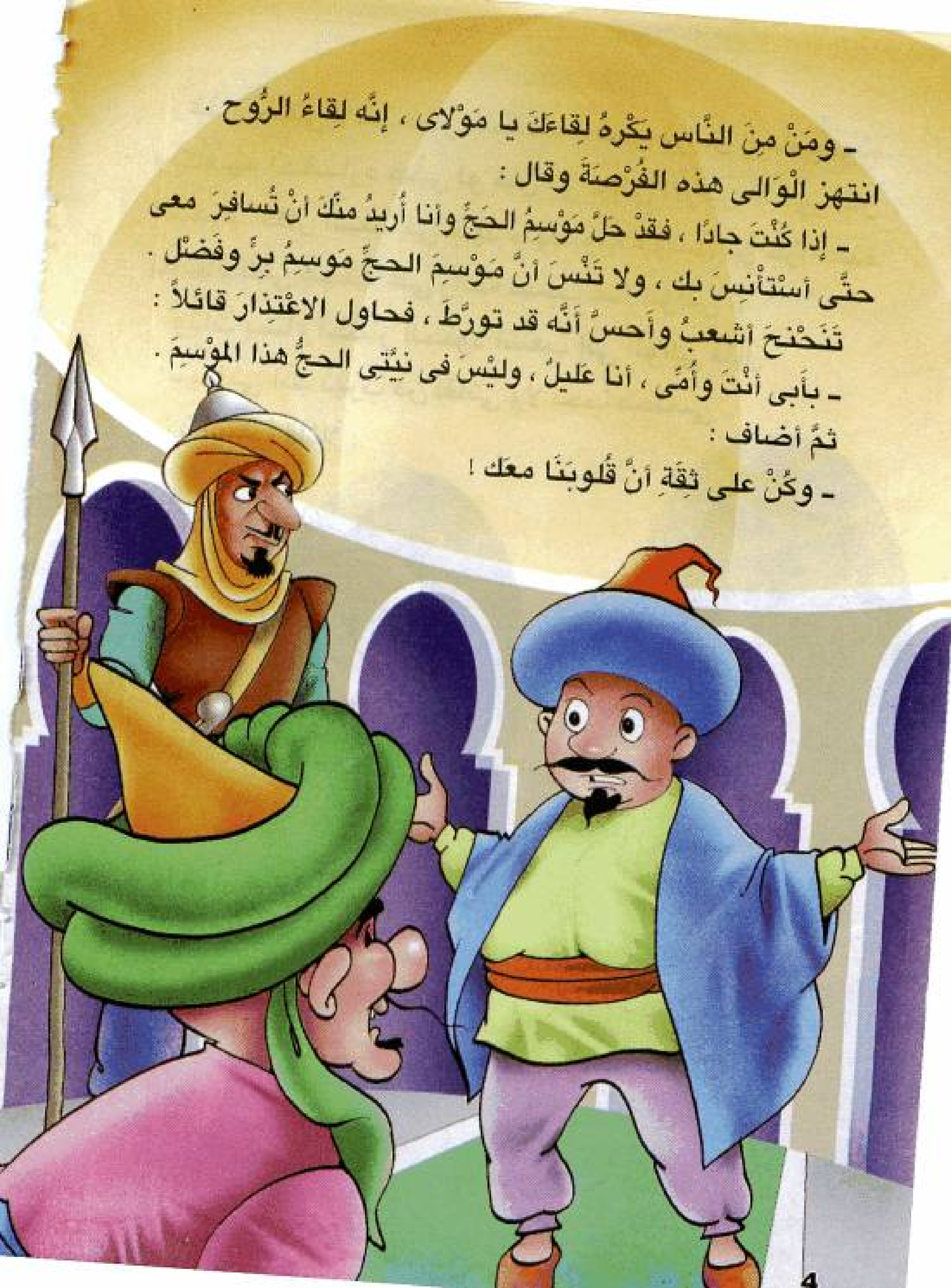
الأَعْذارَ حتى لا يَحْضُرَ مَجْلِسَه ، فكان يُرسِلِ إليه جُنُودَه ويُكلِّفَهُم إِحضارَه حتَّى لو كانَ فى باطِنِ الأَرْض أو فى عَنَانِ السَّماءِ ، فكان أشعبُ فى جُهْدٍ جَهِيدٍ وبلاءٍ وَبيلٍ مِنْ جرَّاء هذه المأساةِ الَّتى هبطَتْ على رأْسِهِ بسببِ هذا الوَالى ..

وذاتَ مساءٍ أحْضَرَ الجنودُ أشعبَ إلى الْوَالى فقالَ :

- بَلَغنِى أنَّك تَهْرُبُ من لِقائى ولا تُحبُّ مَجْلِسِى .

ردّ أشعبُ قائلاً :





- ومَنْ مِنَ النَّاس يكْرهُ لِقاءَكَ يا مَوْلاى ، إنَّه لِقاءُ الرُّوح .
انتهز الْوَالى هذه الفُرْصَةَ وقال :
- إذا كُنْتَ جادًا ، فقدْ حلَّ مَوْسِمُ الحَجِّ وأنا أُريدُ منكَ أنْ تُسافِرَ معى
حتَّى أسْتَأْنِسَ بك ، ولا تَنْسَ أنَّ مَوْسِمَ الحجِّ موسِمُ برٍّ وفَضْل .
تَنَحْنحَ أشعبُ وأَحسَّ أنَّه قد تورَّطَ ، فحاول الاعْتِذارَ قائلاً :
- بأَبى أنْتَ وأُمَّى ، أنا عَليلٌ ، وليْسَ فى نيَّتِى الحجُّ هذا المَوْسِمَ .
ثمَّ أضاف :
- وكُنْ على ثِقَةٍ أنَّ قُلوبَنَا معَك !



تغيرَ وجْهُ الْوالى وبدا الشَرُّ فى عَيْنَيْه وقال مُهدِّدًا :
أُقْسِمُ باللَّه لَئِنْ لَمْ تأْتِ معِى لأُودِعَنَّكَ الْحَبْسَ حتى أَرْجِعَ ..
كانَ الْحَبْسُ بالنِّسْبة لأشْعَبَ أفْضَلُ مِنْ صُحْبَةِ هذا الْوالى الْبَغيض ، لكنَّه خافَ أنْ تتطوَّرَ هذه العُقُوبَةُ إلى ما هو أسْوَأُ ، خاصَّةً أَنَّ هذا الوالى كانَ مَشْهُورًا بالرُّعُونَةِ والتَّسَرُّعِ ..
فوافقَ أشعبُ مُضْطَرًا على الخروجِ معَ هذا الوالى وسافرَ معهُ مُكْرَهًا ، وطفَرَتْ مِنْ عَيْنَيْه دَمْعَةٌ وقالَ فى صَوْت لا يسمعُه أحدٌ :
- هلاكُ نَفْسى فى صُحْبَتِهِ ، وهَلاكُ جِسْمى فى الْحَبْسِ ..
لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ !

وفى الطَّريق دارَ حُـوارٌ طويلٌ بيْن الوالى وأشْـعب ، كـان أشْعَب يُجيبُ على مَضَضٍ ، بَيْنما الْوالى يسْتَرْسِلُ فى أَسْئِلَتِهِ دونَ انْقِطاع . سألَ الوالى أشعب :

ـ كيْفَ ترى أهْلَ هذا الزَّمانِ يا أشْعَبُ ؟

وفى خُبْثٍ ودَهاءٍ ردَّ أشعَبُ ؟

ـ واللّهِ إنَّ أمرهُمْ لَعَجَبٌ ، يسْألوننى عنْ أحاديثِ الْمُلُوكِ ويُعْطونَنى عطاءَ الْعَبيد !

ابْتَسمَ الوالى ابْتسَامةً حَمْقاءَ ومضَى يسْألُ أَشْعبَ أسئِلةً ثَقيلَةً لا مَعْنَى لها ، قال الوالى :

ـ يا أشعبُ هلْ رأيتَ أحداً أطْمعُ مِنْكَ ؟



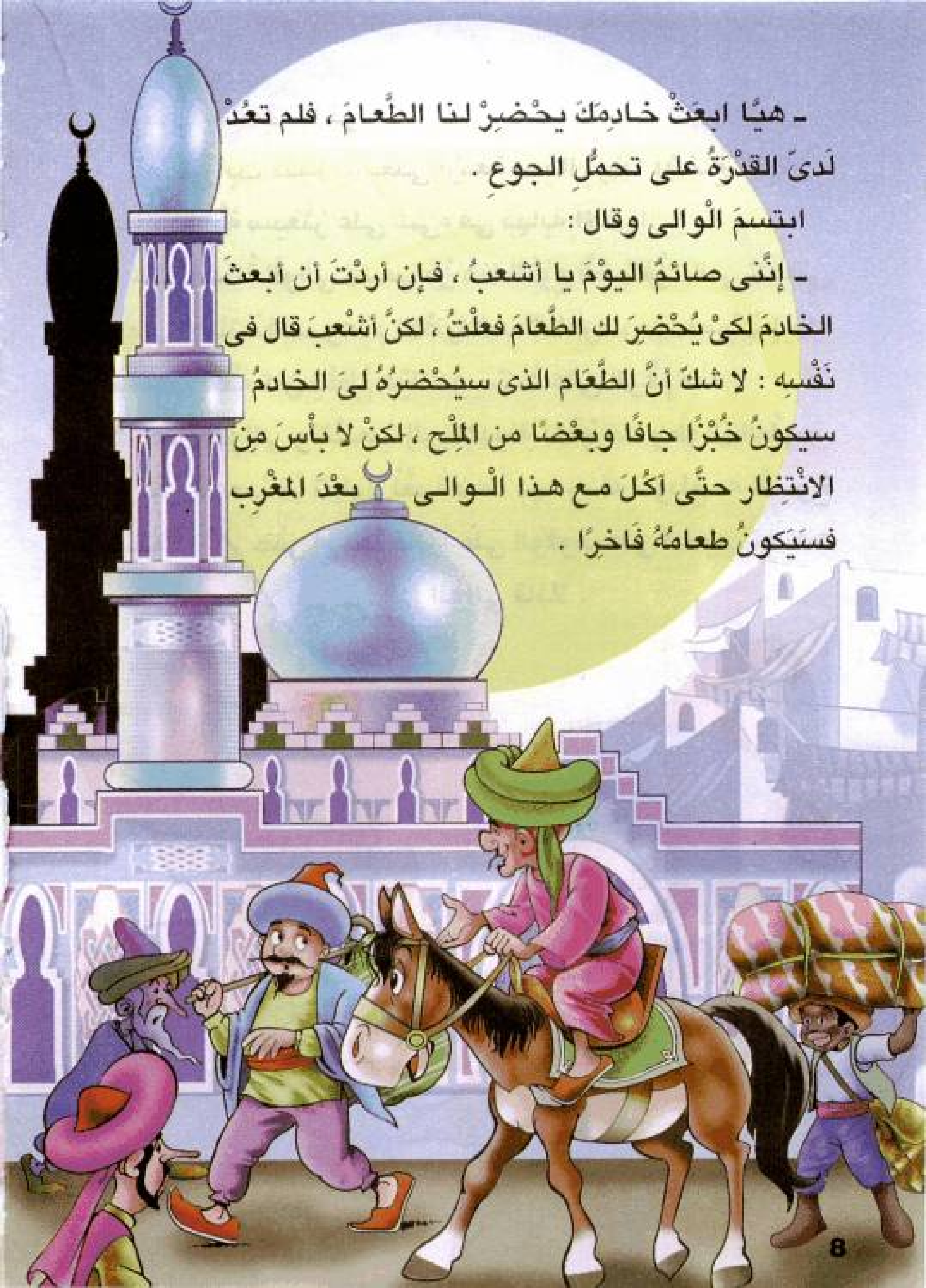


أجاب أشعبُ ساخِرًا :

ـ نعمْ رأيتُ كَلْبًا يتْبعُنى أرْبعَةَ أميْالٍ وأنا أمْضُغُ اللِّبانَ ، ظنًّا منْهُ أنَّهُ سيعْثُرُ على شىْءٍ فى نِهاية الأَمْر !

كانتْ أسئِلةُ الْوالى لأشعبَ مِنْ هذا النَّوْع الْمُسْتَفِزِّ ، التى لا تَعْنِى سِوى الاسْتخْفافِ وعدَمِ الاكْتِراثِ بِمَشَاعِره ، مما يسببُ إيذاءً لنَفْسه ، لكنَّه كان يَكْظِمُ غَيْظَه ويسْكتُ على الرغْمِ مِنْه .

وصلَ الوالى وأشْعبُ إلى المدينةِ المنَوَّرَة ، وطُوالَ الطَّريقِ لمْ يكُنْ أشعبُ قدْ تناولَ لُقْمَةً يَسدُّ بها رَمَقَه ، وبلغ به الْجوعُ مَبْلَغَهُ ، حتَّى لم يعدْ قادرًا على الوُقوف على قدَمَيْهِ ، فالْتفَتَ إلى الوالى قائلاً :



ـ هيَّا ابعَثْ خادِمَكَ يحْضِرْ لنا الطَّعامَ ، فلم تعُدْ لَدىَ القدْرَةُ على تحملِ الجوعِ .

ابتسمَ الْوالى وقال :

ـ إنَّنى صائمُ اليوْمَ يا أشعبُ ، فإن أردْتَ أن أبعثَ الخادمَ لكىْ يُحْضِرَ لك الطَّعامَ فعلْتُ ، لكنَّ أشْعبَ قال فى نَفْسِه : لا شكَ أنَّ الطَّعام الذى سيُحْضِرُهُ لىَ الخادمُ سيكونُ خُبْزًا جافًا وبعْضًا من المِلْح ، لكنْ لا بأْسَ مِنَ الانْتِظار حتَّى آكُلَ مع هذا الْوالى بعْدَ المغْرِب فسَيَكونُ طعامُهُ فَاخِرًا .



نظر الْوالى إلى أشعبَ فوجدهُ شاردَ الذِّهْن فسألهُ :

ـ علامَ شُرُودُكَ يا أشْعَبُ ؟ ألا يُرْضيكَ أنْ آتيكَ بالطَّعام ؟

لكنَّ أشعبَ بِرَغْمِ ما به من تعَبٍ أجابَ :

ـ إنَّنى أفضِّلُ أنْ آكلَ معك بدَلاً منْ أنْ يأْكلَ كلٌّ مِنَّا بمفْرَدِهِ .

ضحكَ الْوالى ثمَّ ربَّت على كَتِفِ أشْعَبَ وقالَ :

ـ لا بأْسَ ، ولكنِّى سأدْخلُ حُجْرتى لكىْ أسْتريحَ قليلاً مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ .

ثم دخل الْوالى حُجرَته وأغْلَقَ على نَفْسِهِ البابَ ، وراحَ يَلْتَهِمُ أنواعَ الطَّعامِ واللَّحْمِ والفاكِهَةِ ، الَّتى كانَ خادِمُهُ قد أعدَّها له .



مرّ الوقْتُ بطيئًا على أشْعبَ ، فقدْ مزّقَ الجوعُ كَبِدَهُ ، ولمْ يكدْ وقْتُ الْمَغْرِبِ يَحينُ حتى أخذَ يبْحثُ عنِ الْوالى فى كلّ مكانٍ بالبَيْتِ ، لكنَّهُ لمْ يجدْ لهُ أثرًا ، ووجدَ الخادمَ وهوَ يُنَاوِلُهُ رغيفَيْنِ يابِسَيْنِ وقِطْعَةَ جُبْنٍ قدْ أكلَ مِنْها الدَّهْرُ وشَرِب .

تعَجّبَ أشعبُ وقال :

ـ وأيْن سيّدُك الْوالى ؟

فأجاب :

ـ لقد تناولَ طعامَهُ مُنْذُ الظُّهْرِ ، وأمَرنى أنْ أُعْطِيَك هذا الطّعامَ لكىْ تتغَلّبَ به على جُوعِك .

ولم يجدْ أشعبُ أمامَهُ سوى أنْ يأكلَ هذيْنِ الرَّغِيفَيْنِ ، وإلا نامَ طاوِيًا .

مرَّتِ الليْلةُ على أشْعبَ وهو فى شرِّ حالٍ ، ولمّا أصبْحَ عاتَبَ الْوالى على صَنيعِهِ ، لكنَّ الوالى اكْتَفَى بكلماتِ اعْتذارٍ باردَةٍ وقال :

ـ مَعْذِرَةً يا أشعبُ ، فقدْ كُنْتُ مُتْعَبًا ، وكانتْ لى رُخْصَةٌ فى الإفْطارِ ، ولمْ أشأْ أنْ أُزْعِجَكَ ، فقدْ حسِبْتُكَ نائمًا .

ثمَّ الْتفتَ إلى خادِمه وناوَلَهُ بِضْعةَ درَاهِمَ وقال :

ـ أحْضِرْ بهذه الدَّراهِمِ لحمًا مَشْوِيًا ، لكىْ نُعوِّضَ أشعب عنِ اللَّيلةِ الماضيةِ .

ابتسمَ أشْعبُ ابْتسامَةً عريضةً وقال لنفسه :

ـ أخيرًا ستَذوقُ اللَّحْمَ والْمَرقَ ، لقد ضحِكَتْ لكَ الأيَّامُ يا أشعَبُ ..



عادَ الخادمُ وهوَ يحْمِلُ الشِّواءَ ووضعهُ أمامَ الْوالى ، الذى راحَ يلْتَهِمُ الطَّعامَ الْتِهامًا دونَ أنْ يلْتَفِتَ إلى أشعبَ أوْ يدْعُوَهُ إلى الطَّعام .. ولمَّا أتى على كلِّ الشِّواءِ ولمْ يبقَ سوى المرقِ وبعضِ كِسْراتِ الخُبْزِ الْتفت إلى أشْعبَ وتظاهرَ بالدَّهْشةِ وقال :

ـ صدِّقْني يا أشعبُ ، لم أَشْعُرْ بوُجودِكَ إلا هذه اللَّحْظَةَ .. لماذا لمْ تُنَبِّهْنى ؟!

ثم أضافَ قائلاً :

ـ على أية حالٍ ، فقدْ بَقِيَ لك الشَّيْءُ الكثيرُ ، يا لَكَ مِنْ إنسانٍ مَحْظُوظ ..

ولأنَّ أشْعب كانَ أكْثَرَ جوعًا منْ أمْس فقدْ أقْبلَ على الطَّعام إقْبالَ المحْروم الجائع ، وراحَ يغْمِسُ الخُبْزَ اليابسَ فى مَرَقِ الشِّواءِ الَّذى تَبَقَّى فى الْقِدْرِ .



أخرجَ الوالى حبَّاتٍ منَ الفاكِهةِ وراحَ يأْكُلُها ، وأشعبُ ينظرُ إليْـه ، وفى النِّهـاية ناولَ أشـعبَ بعْضَ حـبَّاتٍ منَ اللَّوْزِ الذى كانَتْ قِشْرَتُه سَميكةً إلى حدٍّ كبير .

وضع أشْعبُ حبَّةَ اللَّوْز تحتَ ضِرْسِه ، وحاول أنْ يكْسرَ قِشْرتهَا ، عَسى أنْ يظْفَرَ بما بداخِلِها ، لكنَّ ضِرْسَهُ الذى اعْتادَ أنْ يكْسِرَ به أقْوى الأشْياءِ تفتَّتَ وتحولَ إلى ذرَّاتٍ منَ الرَّمْلِ سقَطَتْ فى فَمِه .

حـاولَ أشْعبُ أنْ يعْثُرَ على حـجرٍ يكْسِرُ به حبَّةَ اللَّوْزِ ، وبعد جُهْدٍ وجـدَ حَجَرًا عـلى بُعْدٍ ... كبير ، ولمْ يكدْ أشْعبُ يضْربُ به حبَّةَ اللَّوْز حـتى قفزَتْ ... بعيدًا ، فجرَى خَلْفَها ، كما يجْرى صاحبُ النَّاقة الشَّارِدَةِ ... خَلْفَها فى كلِ اتِّجاهٍ ، لكنَّه عاد بخُفَّىْ حُنَيْنٍ ، ... ولم يعْثُرْ على حبَّةِ اللَّوْز التى كانتْ قدْ ... توارَتْ فى التُّراب .

وبَيْنما أشعبُ يبحثُ عنْ حبةِ اللَّوْز ، إذْ أبْصَرَ جماعةً منْ أعَزِّ أصْحابِهِ ، فأحسَّ بأنَّ اللهَ (تعالى) قدْ أرْسلَهُمْ نَجْدَةً له لكىْ يُنْقِذوهُ منْ هذه الكارثَةِ ، ولمْ يكَدْ أشعب يقتربُ منهم حتَّى صاحَ بهم :

- الغَوْثَ الغَوْثَ ، الْحَقونى أَدْركونى !

كانَ وجْهُ أشعبَ الأصْفَرُ يُوحى بالإعْياءِ الشَّديد ، فقال الأصْحابُ فى تأثُّرٍ :

- ما بك يا أشعبُ وما الذى أصابكَ ؟!

ردَّ أشعبُ مُسْتَنْجِدًا :

- خُذونى معكمْ ، وبذلك تُخَلِّصوننى منَ الموْتِ ، وسأقُصُّ عليكمْ قِصَّتى فيما بَعْدُ !



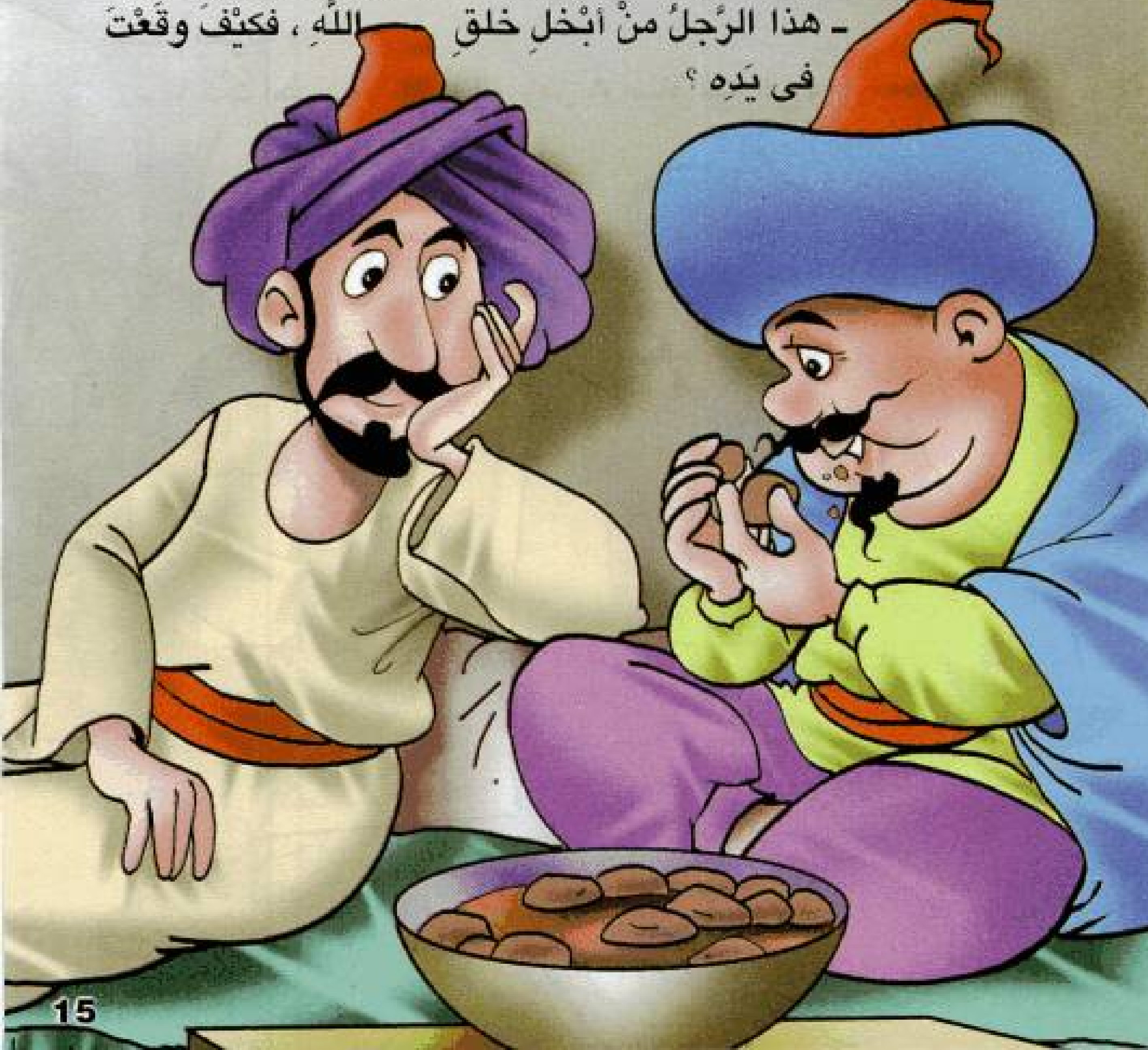
حملَ الأصدقاءُ أشعبَ معهمْ ، وبمجرَدِ أنِ ابْتعَدوا عن الْمكانِ أخذَ أشعب يرَفْرِفُ بْيَدَيْه كما يَفْعلُ الفرْخُ إذا طلبَ الرِّزْقَ من أبَوَيْهِ ، فقالوا :

- ما لَكَ ويْلك ؟

فقال : ليْس هذا وقْتُ الحديث ، أطْعِمُونى مما معكُمْ ، فقدْ مِتُّ ضَرًا وجُوعًا منذُ ثلاثٍ .

وضعَ الأصدقاءُ الطَّعامَ أمامَ أشعبَ فراحَ يأْكُلُ بنَهَمٍ كما يفعلُ المحْرومُ ، ثم قصَّ عليْهِمْ ما حدَثَ مع هذا الْوالى الْبَغيضِ وأَرَاهُمْ ضِرْسَه الْمكسورَ فراحوا يضْحكونَ ويَصفِّقُون بأيْديهم ، ويقولون :

- هذا الرَّجلُ منْ أبْخلِ خلقِ اللَّهِ ، فكيْفَ وقَعْتَ فى يَدِه ؟



أقْسَمَ أشعبُ إنَّه لنْ يدْخُلَ المدينةَ ما دامَ لِهذَا الْوَالى سُلْطانٌ بها ، ثم انْصَرفَ عائدًا إلى بَيْته ، وقصَّ القصَّةَ على زوْجَته ، ولمْ يكدْ أشعبُ يضَعُ رأْسَهُ على السَّريرِ حتى سَمِعَ دقًا على الباب ، وإذا به رسُولٌ مِنْ قِبَلِ الْوَالى يقولُ له :

ـ إنَّ سيِّدى الْوالى يُريدُك حَالاً ، فقدْ أعجَبَتْهُ مُرافقَتُكَ له فى رحْلة الحجِّ ، فقرَّرَ أنْ يصْطَحِبكَ معَهُ فى رحْلةٍ طويلةٍ إلى الْهِنْد ثمَّ إلى جبال الْواقْ وَاقْ ..

لمْ يتمَّ الرَّسُولُ كلامَه حتى راحَ أشعبُ فى غَيْبُوبةٍ وهو يتَمْتمِ بقولِه :

ـ ما كنْتُ أحْسَبُ أنْ أحْيا إلى زَمَنٍ ∴ أُساقُ فيه إلى واقٍ ووَقْواقِ ..



(تمَّــت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠
الترقيم الدولى : ٩٧٧-٢٦٦-٣٠٦-٦